221486 ـ لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى العام الذي ماتت فيه خديجة وأبو طالب بـ "عام الحزن"

السؤال

ما هو العام الذي عرف بعام الحزن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وما الأحداث الذي جعلته كذلك ؟ وكيف كانت ردة فعل النبي صلى الله عليه وسلم تجاهها ؟ وما الدروس المستفادة ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

" عام الحزن " : اشتهر عند الناس إطلاقه على العام الذي توفيت فيه خديجة رضي الله عنها ، وأبو طالب ، وذلك لما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الحزن والهمّ بموتهما ، ولما تعرض له من أذى السفهاء ، فقد كانت زوجته وعمه يدفعان عنه الكثير من الأذى والضر .

قال ابن إسحاق رحمه الله :

" فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ ، نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مِنْ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ " انتهى من "سيرة ابن هشام" (2/ 46) .

وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين .

ثانيا :

لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أو أحدا من أصحابه ، بل ولا من التابعين ، ومتقدمي الأئمة : أنه سمى هذا العام بعام الحزن ؛ ولم يُرو ذلك مسندا من وجه ، وغاية ما في الأمر أنها تسمية من العلماء .

قال العيني رحمه الله في "عمدة القاري" (8/ 180):

" توفّي أبو طَالب هُوَ وَخَدِيجَة فِي أَيَّام ثَلَاثَة ، قَالَ صاعد فِي (كتاب الفصُوص) : فَكَانَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يُسَمِّي ذَلِك الْعَام عَام الْحزن ، وَكَانَ ذَلِك وَقد أَتَى للنَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم تسع وَأَرْبَعُونَ سنة وَثَمَانِية أشهر وَأحد عشر يَوْمًا " انتهى.

وصاعد هذا : هو صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي اللغوي ، ولم يكن صدوقا ، قال ابن بشكوال في "الصلة" (ص233) : " كان صاعد هذا يتهم بالكذب وقلة الصدق فيما يورده عفى الله عنه " انتهى .

وقال الذهبي رحمه الله :

" جمَع الفصوص عَلَى نحو"أمالي القالي " للمنصور، فأثابه عَلَيْهِ خمسة آلاف دينار. وكان متَّهَمًا في النَّقل ، فلهذا هجروا كتابه ، وقد تخرَّج بِهِ جماعة مِن فُضلاء الأندلس ، لمّا ظهر كذبِه للمنصور رمى بكتابه في النّهر، ثمّ خرج مِن الأندلس في الفتنة وقصد صقلّية ، فمات بها " انتهى من "تاريخ الإسلام" (28/ 246) .

وقال ابن سيده رحمه الله :

" عام الحزَنِ : الْعَام الَّذِي مَاتَت فِيهِ خَدِيجَة وَأَبُو طَالب ، فَسَماهُ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَام الحزَنِ ، حكى ذَلِك ثَعْلَب عَن ابْن الْأَعرَابِي ، قَالَ: وَمَاتَا قبل الْهِجْرَة بِثَلَاث سِنِين " .

انتهى من"المحكم" (3/ 225) .

ومات ابن الأعرابي في سنة إحدى وثلاثين ومائتين، كما في "سير أعلام النبلاء" (9/ 75) ، وهو أعلى من نسب تسمية هذا العام بعام الحزن إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الشيخ الألباني رحمه الله : " فإني بعد مزيد البحث عنه لم أقف عليه " يعني مسندا .

انتهى من "دفاع عن الحديث النبوي" (ص 18) .

وقال الدكتور محمد بن عبد الله العوشن ، حفظه الله :

"عُرف العام العاشر من البعثة عند المتأخرين بعام الحزن ، ذلك أن هذا العام قد شهد وفاة أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ وأبي طالب عمّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان بين وفاتيهما أيام يسيرة ، وذكروا أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لشدة حزنه سمى هذا العام عام الحزن ؛ فهل صح ذلك ؟

لم تَرِدْ هذه التسمية في شيء من الأحاديث الصحيحة ، بل ولا الضعيفة ، ولا في شيء من كتب السيرة وشروحها، كسيرة ابن إسحاق وشرحها للسهيلي ، ولم يذكر هذا اللفظ ـفيما أعلمـ أحد ممّن كتب في السيرة كابن القيم والذهبي وابن كثير، ولا غيرهم من شرّاح الأحاديث كالنووي وابن حجر ـرحمهم اللهـ .."

ثم قال :

ومن ناحية المتن فيبعد أن يسميه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أحد من أصحابه بذلك، وقد مّر عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمون من المحن والشدائد الكثير، قبل الهجرة وبعدها ...

ثم ذكر طرفا من تلك الحوادث التي تتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

" كل تلك الحوادث وقعت في أقل من ستة أشهر، واستُشهد خلالها ما يقارب من مائة وخمسين صحابيًا ـ رضي الله عنهم ـ ولم يُنقل أنه (صلى الله عليه وسلم) ـعلى شدة حزنهـ سمّاه بأي اسم يدل على الحزن أو نحوه " .

ينظر : "ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية" (67-69) .

والله أعلم .